

الرد على سؤال خاص بالحبل بلا دنس

للأنبا بيشوى

للرد على سؤالك الخاص بأن تحية الملاك جبرائيل للعدراء مريم "السَّلَامَ لَكَ أَيُّهَا الممثلةة نعمة! الرَّبُّ مَعَكَ. مُبَارَكَةٌ أَنْتِ فِي النِّسَاءِ" (لو ١ : ٢٨) وخصوصاً قوله لها "أَيُّهَا الممثلةة نعمة" من الممكن أن تعطى إنطباعاً بأنها لم ترث الخطية الأصلية التي يرثها سائر البشر نقول ما يلي:

أولاً: أن عبارة "الرَّبُّ مَعَكَ" قد قيلت أيضاً لجدعون حينما ظهر له السيد المسيح تحت شجرة البطمه وقال له "الرَّبُّ مَعَكَ يَا جَبَّارَ النَّبَاسِ" (قض ٦ : ١٢)، مع أن ذلك كان فى العهد القديم ولإنسان طبيعى.

ثانياً: عندما دخل بطرس الرسول بيت كرنيليوس قائد المئة الذى كان أممياً وآمن بإله إبراهيم ولكنه لم يكن يعرف المسيحية. وإبتدأ بطرس الرسول يشرح إرسالية السيد المسيح كفادى للبشرية؛ وإذ آمن كرنيليوس والذين معه بكلام بطرس الرسول؛ إمتلأوا جميعاً من الروح القدس قبل معموديتهم. وكان ذلك علامة من الرب لبطرس وللكنيسة كلها أن الرب قد قبل الأمم فى الإيمان وقال بطرس "تُرَى يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَمْنَعَ الْمَاءَ حَتَّى لَا يَعْتَمِدَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ قَبِلُوا الرُّوحَ الْقُدُسَ كَمَا نَحْنُ أَيْضاً" (أع ١٠ : ٤٧). فهل معنى إمتلاء كرنيليوس والأمميين الذين ملأوا البيت أنهم كانوا غير وارثين للخطية الأصلية لأنهم إمتلأوا من الروح القدس قبل عمادهم أم كان حالة إستثنائية لإقناع الكنيسة بقبول الرب للأمم لينالوا الخلاص مثل اليهود الذين آمنوا، وعندما تعجبت باقى الكنيسة مما فعله بطرس الرسول وكانوا غير راضيين طلب إليهم أن يستمعوا إلى القصة وكيف حدثت خاصة قول بطرس "أَقَادِرُ أَنْ أَمْنَعَ اللهُ؟" (أع ١١ : ١٧) وأجاب السامعون قائلين "إِذَا أَعْطَى اللهُ الأُمَّمَ أَيْضاً التَّوْبَةَ لِلْحَيَاةِ" (أع ١١ : ١٨) وبالفعل لم تغفر الخطية الأصلية لكرنيليوس والأمم الذين معه إلا بعد ميلادهم الفوقانى من الماء والروح فماذا يمنع أن تتملى العذراء من الروح القدس لأن الله كان قد إختارها لتكون هى أم المخلص وقال لها الملاك "لَأَنَّكَ قَدْ وَجَدْتِ نِعْمَةً عِنْدَ اللهِ" (لو ١ : ٣٠). وبعدما تجسد الله الكلمة أى الابن الوحيد الجنس فى أحشاء العذراء مريم إرتفعت فى المرتبة كثيراً وصارت تدعى السماء الثانية كوالدة الإله وحاملة الإله وقالت لها أليصابات بالروح القدس "فَمِنْ أَيْنَ لِي هَذَا أَنْ تَأْتِي أُمُّ رَبِّي إِلَيَّ" (لو ١ : ٤٣).

ثالثاً: عندما زارت العذراء مريم بيت زكريا وسلّمت على أليصابات إمتلأت أليصابات من الروح القدس وصارت ممتلئة نعمة وصرخت مخاطبة العذراء مريم "مُبَارَكَةٌ أَنْتِ فِي النِّسَاءِ وَمُبَارَكَةٌ هِيَ ثَمَرَةُ بَطْنِكَ" (لو ١ : ٤٢)، وليس ذلك فقط بل إمتلأ الجنين الذى فى بطنها وهو يوحنا المعمدان من الروح القدس وإرتكض بإبتهاج فى بطن أمه وتحقق وعد الملاك جبرائيل لأبيه زكريا الكاهن "وَمِنْ بَطْنِ أُمِّهِ يَمْتَلِئُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ" (لو ١ : ١٥) وقال السيد المسيح عن يوحنا "الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: لَمْ يَقُمْ بَيْنَ الْمُؤَلُودِينَ مِنَ النِّسَاءِ أَعْظَمُ مِنْ يُوْحَنَّا الْمَعْمَدَانِ وَلَكِنَّ الْأَصْغَرَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ أَعْظَمُ مِنْهُ" (مت ١١ : ١١) والمقصود بكلمة "الأصغر" هو الميلاد الجسدى للسيد المسيح الذى جاء بعد مولد يوحنا بنحو ستة أشهر. فهل نقول أن يوحنا المعمدان لأنه قد إمتلأ من الروح القدس وهو جنين فى بطن أمه لم يرث الخطيئة الأصلية وحُبل به بلا دنس كما يدعى البعض عن العذراء مريم!؟

رابعاً: بعد تحية أليصابات بدأت العذراء مريم تقول تسبحتها المشهورة والرائعة جداً بالروح القدس "تُعْظِمُ نَفْسِي الرَّبِّ. وَتَبْتَهِجُ رُوحِي بِاللَّهِ مُخْلِصِي" (لو ١ : ٤٦، ٤٧) فهل هناك أدل من ذلك على أن العذراء مريم وهى تحمل السيد المسيح فى داخلها بإعتباره الله الكلمة المتجسد ابن الله الوحيد الجنس أنها محتاجة إلى الخلاص كسائر البشر حتى بعدما قيل لها أيتها الممتلئة نعمة حتى بعدما حل عليها الروح القدس وقدس مستودعها ليليق بحلول الابن المتجسد فيه وحتى بعدما كوّن الروح القدس ناسوتاً للسيد المسيح خالياً تماماً من أى خطية أو حتى أى ميل للخطية والذى قال عنه الملاك جبرائيل "لِذَلِكَ أَيْضاً الْقُدُوسُ الْمُؤَلُودُ مِنْكَ يُدْعَى ابْنَ اللَّهِ" (لو ١ : ٣٥)، أما هى فكانت تقول "وَتَبْتَهِجُ رُوحِي بِاللَّهِ مُخْلِصِي". لا شك أن العذراء مريم هى أحق البشر جميعاً بأن تنال الخلاص وقد إرتفعت فوق الشاروبيم والسيرافيم كما نقول فى تسابيح الكنائس الأرثوذكسية جميعاً.

خامساً: قال الله لإبراهيم أب الأباء "أَذْهَبُ مِنْ أَرْضِكَ وَمِنْ عَشِيرَتِكَ وَمِنْ بَيْتِ أَبِيكَ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أُرِيكَ. فَأَجْعَلُكَ أُمَّةً عَظِيمَةً وَأُبَارِكَكَ وَأُعْظِمَ اسْمَكَ وَتَكُونُ بَرَكَةً. وَأُبَارِكَ مُبَارِكَكَ وَلَاعِنُكَ أَلْعَنُهُ. وَتَتَبَارَكَ فِيكَ جَمِيعُ قَبَائِلِ الْأَرْضِ" (تك ١٢ : ١-٣) فهل فى قول الملاك جبرائيل للسيدة العذراء ابنة إبراهيم "مُبَارَكَةٌ أَنْتِ فِي النِّسَاءِ" (لو ١ : ٢٨) وهى نفس العبارة التى نطقت بها أليصابات أيضاً هل هذا القول

الذى قيل مثله لأبينا إبراهيم يجعلنا ندعى -بما يخالف العقيدة- أن إبراهيم قد حبل به بلا دنس وبغير الخطيئة الأصلية؟!!

سادساً: إذا كان أصحاب عقيدة الحبل بلا دنس يتجاوزون تكوين ناسوت السيد المسيح وينسبونه إلى مولد العذراء مريم من أبويها لكي يبرروا أن السيد المسيح قد حبل به بلا دنس، كما نعتقد نحن أيضاً بشأن السيد المسيح، فإن معنى ذلك أن العذراء يلزمها أن يكون كلا أبويها قد حبل بهما هما أيضاً بغير الخطيئة الأصلية، أى بلا دنس، ونفس الكلام عن أبوى كليهما والأجداد صعوداً إلى آدم وحواء، ومروراً بإبراهيم وسارة، فهل نصل إلى نتيجة أن آدم وحواء لم يخطئاً أو أن الله قد ظلمهما حينما أخرجهما من الفردوس أو أن البشرية لم تكن محتاجة إلى الخلاص وأن تجسد الله الكلمة فى الإيمان المسيحى هو نوع من المغالاة وبدعة يرفضها من يقبل عقيدة الحبل بلا دنس فى مولد العذراء مريم من أبويها؟ فهل نضحى بالمسيحية إرضاء لأصحاب عقيدة الحبل بلا دنس فى مولود العذراء مريم!!!؟

سابعاً: لا يوجد كائن بين جميع البشر لم يحمل الخطية الأصلية إلا السيد المسيح مخلص العالم لذلك قال الملاك الذى بشر الرعاة "فَهَا أَنَا أَبَشِّرُكُمْ بِفَرَحٍ عَظِيمٍ يَكُونُ لِجَمِيعِ الشَّعْبِ: أَنَّهُ وُلِدَ لَكُمْ الْيَوْمَ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ مُخَلِّصٌ هُوَ الْمَسِيحُ الرَّبُّ" (لو ٢: ١٠، ١١) وعندما حمل سمعان الشيخ الذى أقبل بالروح إلى الهيكل الطفل يسوع على يديه قال "الآن تُطَلِّقُ عَبْدَكَ يَا سَيِّدُ حَسَبَ قَوْلِكَ بِسَلَامٍ. لِأَنَّ عَيْنَيَّ قَدْ أَبْصَرْتُ خَلَاصَكَ. الَّذِي أَعْدَدْتَهُ قُدَّامَ وَجْهِ جَمِيعِ الشُّعُوبِ. نُورَ إِعْلَانٍ لِلْأُمَّمِ وَمَجْدًا لِشَعْبِكَ إِسْرَائِيلَ" (لو ٢: ٢٩-٣٢).